

## **المحاضرة الاولى**

### **مقدمة في تاريخ الفن**

**(( من الفنون الاغريقية الى فنون عصر النهضة ))**

### **المرحلة الرابعة**

### **قسم الفنون التشكيلية**

**مدرس المادة**

**م.د. أسماء سمير**

## مقدمة في تاريخ الفن ( من الفنون الاغريقية الى عصر النهضة )

لفهم اي تحول وتجديد في حركة الفن يقتضي دراسة الارضية المعرفية لكل مرحلة تاريخية وشروط انتاجها للخطابات الفنية بما يضعنا امام سلسلة من البناءات الفكرية والاساليب الفنية قد تحدث قطيعة مع ما سبقها او قد تتصل وتستمر في مراحل تاريخية كثيرة ونظراً لاهمية الفنون الاغريقية و عصر النهضة نفتتح دراستنا لتاريخ الفن الاوربي الحديث بمقدمة موجزة لهذه الفنون ذلك ان فهم الحديث يقتضي المرور بالقديم ....

**الفنون الاغريقية :** تعتبر الحضارة الاغريقية من اقدم الحضارات في اوربا ومنها استمد الفكر الغربي ادواته المعرفية والفلسفية والجمالية ، جغرافياً تمتد هذه الحضارة بجذورها الى حضارة البحر المتوسط وتحديداً الى حضارة بحر ايجا وقد وصفها المؤرخون على انها حصيلة لتفاعل مؤثرات حضارية وثقافية جمعت بين القارات الثلاث اسيا وافريقيا واروبا ( ١ ) شهدت الحضارة الاغريقية ادواراً تاريخية عديدة اختلفت فنونها باختلاف الضواغط وتطورات الفكر ، فثمة انتقالات ترواحت بين الاشكال المبسطة والهندسية في مراحلها المبكرة (الحضارة المينية والميسينية ) الى الاكثر اتقان مع الفترة ( الكلاسيكية ) التي عرفت فنونها بالكمال واقصى مقاييس الجمال وعلى نحو خاص الجسد الانساني الذي اخذ مكانة مهمة لدى الفنان الاغريقي فمن الناحية التكوينية لرسوم ومنحوتات هذه الفترة نجد الاهتمام الشديد بتناسق العلاقات العضوية للجسد ومراعاة النسب وضبطها بهدف الوصول الى الجمال المثالي ويعود ذلك الاهتمام الى تركيبة اللوغوس الغربي الذي اعلن النموذج المثالي كقانوناً للفكر سواء على مستوى الفلسفة او العلم او السياسة او الدين .

- **الفلسفة :** شغل الانسان مكانة مركزية في الفكر الفلسفي اليوناني ( ويرتكز المثل الاعلى على اليقين الراسخ في الفكر اليوناني ان الانسان هو مقياس كل شئ في العالم ، ولا يوجد اجمل من جسمه ، ولا امهر من يده ، ولا اذكي من عقله ... ويعتقد اليونانيون ان نصيبهم منها اوفر من نصيب غيرهم وانهم يأتون في طليعة كل الشعوب اذا قيست الكفاءات ، وكشف عن الجداريات في كل ما يتعلق بالالعاب الرياضية ، وتقدير الجمال ، وحب المنطق ، والشغف بالمناقشات الفكرية ) ( ٢ ) وقد اكدت بعض طروحات الفلسفة الاغريقية على ان كمتا الجسد البشري يتمثل في الجسد الرياضي لذا اصبحت الاجساد الرياضية مادة للفنون الكلاسيكية الاغريقية ( ٣ )

( ١ ) خزعل الماجدي : الفنون الاغريقية ، ط١ ، دار الرقنين ، لبنان - بيروت ، ٢٠١٧ ، ص ١٣  
( ٢ ) سليم عادل عبد الحق : الفن الاغريقي واثاره المشهورة في الشرق ، مطبعة الترقى . دمشق ، ١٩٥٠ ص ١٤ - ١٥  
( ٣ ) خزعل الماجدي : الفنون الاغريقية ، المصدر السابق ص ٢١٢

**العلوم :** يعاضد الحقل الطبي- الفكر الفلسفي المثالي بتأكيد مركزية الجسد والانسان وتتحدد مهمة الطب بتقديم ارشادات تدعو الى ضبط ومراقبة طريقة العيش للحفاظ على اجساد قوية ومثالية ، فالطب ليس فقط تقنية يلجأ اليها في حالات المرض بل يمتد الى جوانب فلسفية تُدوّن علاقة الذات بالجسد من خلال وضع انظمة للتغذية واليقظة والنوم وممارسة الرياضة اي التسلح بمعرفة طبية تؤمن صحة الافراد (٤) فممارسة الرياضة والحمية تشكل نظام لتربية النفس وترويضها ومن جانب آخر تمنح الجسد قواماً مثالياً وصحياً تحيله الى تحفة فنية بما يحقق السعادة والجمال والرضا والقبول لدى افراد المجتمع وبحسب الثقافة اليونانية كلما كان الجسد ضمن قواعد الجمال المثالي يحظى صاحبه بالقبول الاجتماعي وفرص العمل والزواج .

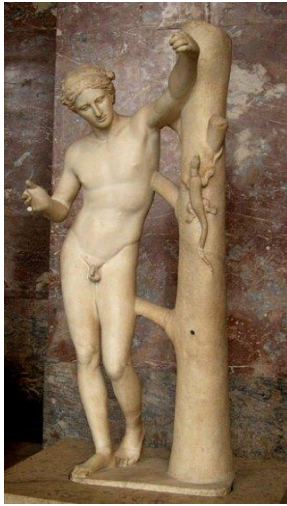
**السياسة :** في الحقل السياسي يتعاضد النموذج المثالي ومكانة الانسان في ترسيم الممارسة السياسية لتجد تطبيقاتها الاجتماعية الممثلة بالحرية الفردية اذ ان اهم ما يميز ما يميز الفكر السياسي الاغريقي هو الحرية وتحقيق العدالة الاجتماعية بما يضمن علاقة رضا وتوازن بين الحاكم والمواطنين بل يعزز فكرة الانتماء والهوية الوطنية ومجتمع ذو اخلاقيات متعالية (٥) وهذا ما يبرر رأي احد مؤرخي الفن في ان الاثار الفنية اليونانية ان هي الا دعوات للفضيلة وان صور الابطال في التماثيل والالواح الحجرية نصيحة الى المواطنين في تقوية اجسامهم ووضعها في خدمة الوطن (٥)

**الدين :** يتداخل الجانب الديني مع الفكر الفلسفي والعلمي والسياسة في ترسيخ مكانة الانسان واهمية الجسد وفقاً للنموذج المثالي وهو ما استدعى الفنان الاغريقي ايجاد معادلات صورية للالهة بهيئة انسانية نفذت بأعلى مقاييس الجمال والكمال فأن اهم ما يميز الفكر الديني الاغريقي هو الاعتقاد بجمال الطبيعة الانسانية وان الروح النبيلة لا يمكن ان توجد الا في الاجساد السليمة القوية لذا توجهت فنونه لتمجيد ودراسة الجسم الانساني بوصفه وعاء الوجود ولمضاعفة اهمية وجمال الجسد وبنيتة الرياضية كان العري اسلوباً غلب على تماثيل الالهة والعظماء (٦)

بشكل عام صنفت الفنون الاغريقية على انها أهم الفنون في التاريخ بوصفها الذات المؤسسة لاجدييات الابداع عبر التاريخ (٦) ففي رأي كل علماء الجمال ان الفن الاغريقي هو اسمى فن حي عرفته الانسانية لانه استطاع ان يكون كما يقول هيجل : الزمن الكلاسيكي في الحياة الابداعية العالمية بما ابتكر من اشكال ومواضيع ونحن مدينون في نشوئه الى اليونان اللذين استطاعوا ان يحتلوا مكانة وسطى بين الحرية الشخصية الشاعرة والافكار الاخلاقية الرفيعة (٧).

(٤) ينظر : ميشيل فوكو : تاريخ الجنسانية - الانشغال بالذات ج ٣ ، تر . محمد هشام ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء - المغرب ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠٣- ١٢٥ .  
(٥) سليم عادل عبد الحق : الفن الاغريقي واثاره المشهورة في الشرق ، المصدر السابق ، ص ١٢  
(٦) سليم عادل عبد الحق : الفن الاغريقي واثاره المشهورة في الشرق ، المصدر نفسه ، ص ١٦ - ١٩  
(٧) سليم عادل عبد الحق : الفن الاغريقي واثاره المشهورة في الشرق ، مطبعة الترقى . دمشق ، ١٩٥٠ ، ص ١٠

مما تقدم يتضح ان مختلف الحقول المعرفية الاغريقية تدعوا لمركزية الذات الانسانية وهذه وجدت معادلاتها التصويرية في الفن من خلال الجسد المثالي لذا صور الاغريق الهتهم وابطالهم عراة بأجساد رياضية للايحاء والتذكير بجمالية الاجساد السليمة وقوتها كنوع من الاعلام والتحريض لافراد المجتمع على الاهتمام بالجسد وممارسة الرياضة كما يتضح في تمثال رامي القرص شكل (١) للفنان مايرون و تمثال حامل الرمح شكل (٢) للفنان بوليكليتوس ( القرن الخامس ق.م) كذلك تمثال الاله هرقل للفنان لايبوس شكل (٣) وتمثال الاله ابولو يقتل الحرباء للفنان براكتيلس شكل (٤) ( القرن الرابع ق.م)



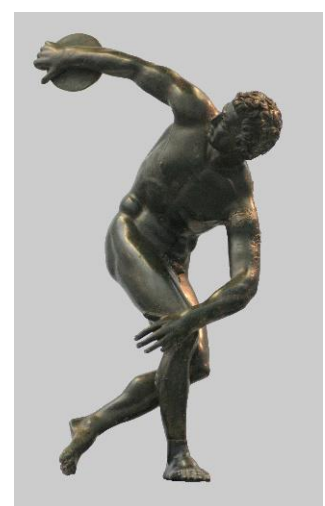
شكل (٤) الاله ابولو



شكل (٣) الاله هرقل



شكل (٢) حامل الرمح



شكل (١) رامي القرص

### فنون العصور الوسطى

تعتبر هذه الفترة مرحلة انتقالية في تاريخ الفكر الغربي الانتقال من الديانة الوثنية للحضارة الاغريقية الى الديانة التوحيدية فمن "تعدد الالهة الى وحدانية المعبود مع ظهور الديانة المسيحية"<sup>(٨)</sup> . لذا فإن الحديث عن فن العصور الوسطى يعني اننا امام مرحلة جديدة اتسمت بالتزام ديني وهاجس كبير لترسيخ العقيدة المسيحية ، فثمة سلطة دينية فرضت على الفن شروطاً اهمها تصعيد الجانب الروحي على الدنيوي لتتصدر قصص الانجيل وصورة السيد العذراء و السيد المسيح (ع) مواضيع النتاجات الفنية حتى عرفت فنون ذلك العصر بفن الايقونة او الفن المسيحي واحياناً يعرف بفن العصور المظلمة لما شهدته تلك الفترة من تراجع عن ارث الفنون الكلاسيكية فثمة تغير في طبيعة الثقافة الفنية ووظيفة الفن الاجتماعية من جهة، وولادة

<sup>(٨)</sup> محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، مصر ، ط٩ ، ٢٠٠١ ، ص٤٨٧ .

أشكال فنية تلبى الاحتياجات العقائدية للدولة والمؤسسات الدينية من جهة أخرى وقد استدعت هذه الانتقالة تقويض التقاليد الجمالية الكلاسيكية الاغريقية وتحريمها لارتباطها من جانب بالوثنية ومن جانب اخر اسلوبها التجسيدي ومحاكاة الواقع ولتجنب التذكير بالاوثنان وتعزيد العقيدة الجديدة توجهت الفنون المبكرة للعصور الوسطى نحو الرسم وحرمت المنحوتات (( فالتمثيل تشبه الاوثنان التي حكم عليها الكتاب المقدس بالادانة لذلك استعاضوا عنها بالرسم نظراً لاعتقادهم ان الرسوم مفيدة لانها تساعد على تذكير المصلين بالتعاليم التي يتلقونها وان الرسم للاميين مثل الكتابة للقراء و لابد ان يكون الرسم واضح وبسيط قدر الامكان ويخلو من كل ما يصرف الانتباه عن الهدف الديني ((<sup>(٩)</sup>

وهكذا لم ترفض او تمنع العصور الوسطى الفن بل وجهته لخدمة الكنيسة ونشر التقوى ولان الفن ممارسة اداته الصورة يكون اكثر تأثيراً وفاعلية على العقل كذلك تعد الصورة وسيلة تعليمية يمكن استقبالها وفهمها من قبل افراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم على ذلك يصرح هاويزر بأن (( الفن من حيث هو اداة للتعليم الكنسي اعظم قيمة من العلم وذلك على الاقل في الحالات التي كان الهدف فيها هو انتشار الدعوة على اوسع نطاق ممكن ))<sup>(١٠)</sup>

اذن وفقاً للمتغيرات اعلاه تحددت شروط فن العصور الوسطى بالاتي

- مغادرة الرؤية التجسيدية والاحتفاء بالرمزية
- تغييب مادية الاشكال وعالم المحسوسات
- الانقطاع مع الواقع واستبدال الدنيوي بالروحي

وقد ترتب على تلك المتغيرات والشروط افولاً لمركزية الانسان و قدسية الجسد وجمالياته فالفن كوسيلة لا يصال وتحقيق غايات دينية يستدعي ايجاد اشكالاً رمزية امتازت بالتسطيح وعدم مراعاة اوضبط النسب والعلاقات التشريحية للجسد وذلك لمنح الايقونات الدينية طابعاً قدسياً يترفع عن محاكاة الاشكال البشرية وهو ما يتضح في الاشكال (٥، ٦، ٧ ، ٨)

<sup>(٩)</sup> اي. هـ. غومبرتش: قصة الفن، تر. عارف حديفة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة / دمشق، ١٦٣-١٦٤ ص

<sup>(١٠)</sup> ارنولد هاويزر: الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترفؤاد زكريا، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دبت ص ١٥١ .



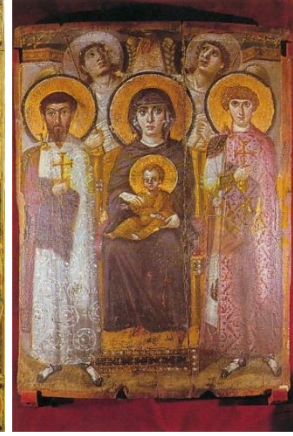
شكل (٨) يسوع والانجيل  
ايقونة من القرن الثامن



شكل (٧) يسوع ورئيس الدير  
ايقونة من القرن السابع



شكل (٦) الملاك ميخائيل  
ايقونة من القرن الثاني عشر



شكل (٥) العذراء بين قديسين  
ايقونة من القرن السابع

من ملاحظة الاشكال اعلاه تتلخص سمات فن العصور الوسطى بالاتي :

- ١- التسطیح وعدم ضبط النسب والعلاقات التشريحية
- ٢- الجمود وفقدان الحركة
- ٣- زاوية النظر الامامية
- ٤- هالات النور حول الشخصيات المقدسة
- ٥- استخدام اللون الذهبي لمنح المشهد طابعاً روحانياً
- ٦- قوة الخطوط
- ٧- افتقاد الاجساد للحبوية والقوة

## فنون عصر النهضة

شكلت فنون عصر النهضة انتقالاً آخرى في تاريخ الفن الأوربي تمثلت بمحاولة استرداد الإرث الإغريقي لتعرف تلك المرحلة بعصر الانبعاث أو عصر إحياء العلوم والفنون على أن ذلك الانتقال لم يتحقق بصورة سريعة ومفاجئة بل مر بمرحلتين الأولى عرفت بفن عصر النهضة المبكر في حين عرفت اللاحقة بعصر النهضة الذهبي ....

## فن عصر النهضة المبكر

يتحدد بالفترة ما بين القرن الثالث والرابع عشر وهي مرحلة انتقالية من العصور الوسطى إلى النهضة



(٩) القديس فرنسيس يعصى والده ١٣٢٠

وقد شهدت تلك الفترة تحولاً على مستوى الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد رافقها تطورات وجهود لإحياء الجذور الفلسفية والعلمية للفكر الغربي إذ تضمنت نوع من الرفض لفنون العصور الوسطى البيزنطية والقوطية من جانب ، ومن جانب آخر محاولة التجديد وبحث نوع من الواقعية والطابع الإنساني فثمة (( ثورة فكرية وخاصة في إيطاليا عرفت باسم الحركة الإنسانية حيث أعلن تفسير جديد للحياة يتفق مع المفاهيم الدنيوية والإنسانية وقد التجأ رواد الفكر لتأكيد وجهة نظرهم الجديدة بالرجوع إلى التراث الإغريقي وإحيائه وقد تميزت أعمال الفنانين بروية مستقاة من الطبيعة حيث أدخلوا إلى جانب المواضيع الدينية موضوعات جديدة من المناظر الطبيعية )) (١١)

ففي تلك المرحلة نجد أنه رغم حركة التجديد الفكري والفني إلا أنه نجد استمراراً لسلطة الموضوع الديني رافقها نوع من المرونة والتحرر رغبة في تجديد الرؤية الفنية ومن أهم السمات التجديدية التي افتتحها الفنان جيو توتو هي الاحتفاء بالواقع ومحاكاته وإعادة الحياة في رسم الوجوه لتغدو أكثر قرباً من الأشكال في الطبيعة كما في لوحة القديس فرنسيس يعصى والده شكل ( ٩ ) إذ يلاحظ اختفاء الأجواء الروحانية ونوع من الاهتمام بالنسب والتشريح ثم الحركة في الأجساد واختلاف زوايا النظر ((ففي القرن الرابع عشر اقترب جيو توتو في

(١١) رعد مطر : اثر فنون عصر النهضة على التصوير الاسلامي ، دار النشر للجامعات ، ص ٨٤



(١٠) موعظة الطيور ١٢٩٧

فلورنسا من السمات الواقعية للوجوه ، ثم بلغ ذروته في محاولة التجسيد النحتي للحجوم ، فكان بداية لبعث مفاهيم الفن الاغريقي<sup>(١٢)</sup> اما السمة التجديدية الثانية التي ادخلها جيوتو فهي الطبيعة كما في الشكل (١٠)

### فن عصر النهضة الذهبي

تحدد بالفترة ما بين القرنين الخامس والسادس عشر وهي المرحلة المتقدمة لعصر النهضة المبكر حيث استقادت مما حققته التحولات الاقتصادية والفكرية والاكتشافات العلمية لتتضاعف فكرة التحرر ومغادرة صنمية فنون

القرن الوسطى ثم الاحتفاء بالواقع والعالم المادي (( فأن التحول الحقيقي الذي احدثه عصر النهضة انما هو فقدان الميتافيزيقية لقوتها ، واقتصار هدف الفنان ، بطريقة كانت تزداد وضوحاً ووعياً بالتدرج ، على تصوير العالم التجريبي فكما ازداد المجتمع والحياة الاقتصادية تحراً من قيود تعاليم الكنيسة ، ازدادت حرية الفنان في التحول الى بحث الواقع المباشر<sup>(١٣)</sup> وبما ان عصر النهضة منذ بواكيره استرد فكرة احياء التراث الاغريقي للعلوم والفنون فأن عصر النهضة الذهبي ضاعف الاهتمام بذلك الموضوع ليستعيد الانسان مركزيته والجسد جماليته فعلى الرغم من عصر النهضة المبكر استدعى احياء التراث الاغريقي الا انه شكل مزيجاً ما بين مرحلة القرون الوسطى ومرحلة النهضة ذلك ان الاشكال ظلت محافظة نوعاً ما على بساطتها اما مع عصر النهضة الذهبي فقد اتضحت التحولات وتطبيقات التعاليم الاغريقية بما يمكن معه القول (( ان هذا الفن كان الوريث الوفي للفن الاغريقي القديم الذي اعتبر الانسان الموضوع الاساسي للفن ، كما اصر على محاكاة الوجوه البشرية عند تمثيلها في التصوير والنحت<sup>(١٤)</sup>

ان فكرة مركزية الانسان والتأكيد على الخصائص الانسانية استدعت فنون عصر النهضة تطبيق الجماليات المتعالية للجسد وفقاً لما يقتضيه من دراسة للنسب وضبط العلاقات العضوية بين اجزائه ، بما يضمن التناسق والانسجام ومطابقة الاشكال الواقعية وتأكيداً على مركزية الانسان استردت بعض الاعمال الاساطير الاغريقية التي صورت الالهة بهيئة بشرية ذات اجساد رياضية كما في تمثال (باخوس اله النبيذ) فنان مايكل انجلو الشكل (١١) ، كذلك ضمت الرسومات الدينية لميكل انجلو ذات التصعيد لقيمة الانسان والبنية القوية للجسد كما في

<sup>١٢</sup> عفيف بهنسي: موسوعة تاريخ الفن والعمارة\_ الفن في اوروبا من عصر النهضة حتى اليوم ، ط١، دار الرائد اللبناني ، لبنان ، ١٩٨٢ ، ص١٠

<sup>١٣</sup> ارنولد هاووزر: الفن والمجتمع عبر التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٠٣ .

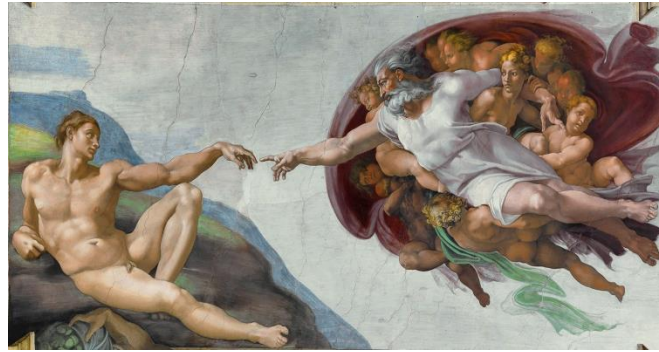
<sup>١٤</sup> عفيف بهنسي: موسوعة تاريخ الفن والعمارة\_ الفن في اوروبا من عصر النهضة حتى اليوم ، المصدر السابق ، ص٩



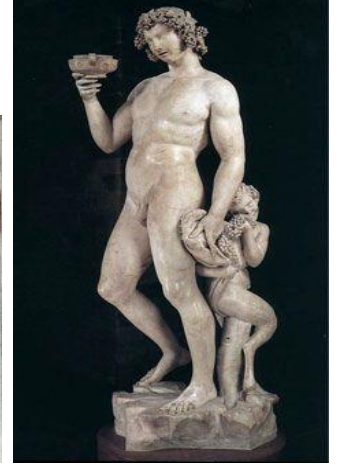
جدارية خلق ادم التي صور فيها الفنان الاله بهيئة انسان شكل (١٢) كذلك جدارية العائلة المقدسة شكل (١٣) التي صور فيها الفنان السيدة العذراء وأحد الشخصيات الدينية بنوع من الفخامة والقوة ولتأكيد الطابع الدنيوي ومنح المشهد والشخصيات الدينية مسحة واقعية يدخل الفنان الطبيعة كخلفية للمشهد العام ونجد ان السيدة العذراء قد صورت بزيّاً وتسريحة شعر كأى سيدة في الحياة اليومية .



(١٣) العائلة المقدسة ١٥٠٤



(١٢) خلق ادم ١٥١٠



(١١) باخوس ١٤٩٦

مما تقدم يمكن تحديد السمات العامة لفنون عصر النهضة بالاتي :

- ١- الاحتفاء بالواقع وعالم المحسوسات
- ٢- تصعيد النزعة الانسانية
- ٣- مركزية الانسان والجسد المثالي
- ٤- التأكيد على الحركة واختلاف زوايا النظر
- ٥- دخول الطبيعة كخلفيات للمواضيع
- ٦- الدراسة العلمية للاشكال وفقاً لعلوم المنظور والتشريح